



تاريخ الاستلام: 2026/01/28. تاريخ القبول: 2026/06/01

الملخص:

يسلط هذا المقال الضوء على سيرة المناضل عمر شلوش بوصفه نموذجا للمقاومة الشعبية التي شهدتها الجزائر خلال مجازر الثامن من ماي 1945، باعتباره محطة مفصلية مهدت للثورة التحريرية، اعتمدت الدراسة على شهادات الناجين وأفراد عائلته، إلى جانب الوثائق والمراسلات العسكرية الفرنسية، للكشف عن دوره في انتفاضة خراطا وما رافقها من قمع دموي طال قرى وادي البارد.

وتبرز النتائج أن عمر شلوش جسّد صورة المقاوم الجزائري البسيط الذي اندفع بدافع وطني فطري، وأن استشهاده المأساوي أثناء محاولته إنقاذ والدته جعله رمزا للتضحية في الذاكرة المحلية، كما تسهم هذه التجربة في فهم تطور المقاومة الشعبية ونضج الوعي الوطني قبيل ثورة نوفمبر 1954.

الكلمات مفتاحية: عمر شلوش - وادي البارد - الثامن ماي 1945 - انتفاضة خراطا - المجازر الاستعمارية

Abstract:

This article examines the life of Omar Chelouch as a representative figure of Algeria's popular resistance during the massacres of May 8, 1945. Drawing on oral testimonies and French colonial military archives, the study highlights his role in the Kherrata uprising and the repression that followed. The findings show that Chelouch embodied the ordinary Algerian resister, motivated by patriotism rather than political strategy, and that his tragic death turned him into a symbol of sacrifice. The article argues that such local experiences are key to understanding the rise of national consciousness and the shift toward armed struggle before 1954.

Keywords: Omar Chelouach- Kherrata- May 1945 Events- Oued El Bared.

المناضل عمر شلوش في سياق أحداث 8 ماي 1945: دوره في انتفاضة خراطا واستشهاده من خلال المراسلات العسكرية وشهادات الناجين

The Revolutionary Omar Chelouche in the Context of the Events of 8 May 1945: His Role in the Kherrata Uprising and His Martyrdom as Reflected in Military Correspondence and Survivors' Testimonies

سفيان لوصيف / جامعة سطيف 2

الجزائر

s.loucif@univ-setif2.dz



مقدمة:

ضمن السياق الدّموي المأساوي الذي ارتكبته فرنسا الاستعمارية خلال ماي 1945 برزت شخصيات محلية مقاومة جسّدت التّحول من الاحتجاج السّلمي إلى العمل المسلّح، وكان من أبرزها المناضلين عمر شلوش، ابن دشرة بني ملا بوادي البارد، الذي قاد أبناء منطقته إلى انتفاضة خراطة وواجهوا آلة القمع الاستعمارية، لقد تحوّل من فلاح بسيط إلى رمز للتّضحية الوطنية، ومن شاهد على الظّلم إلى شهيد يستحضر في الذاكرة الجماعية باعتباره أوّل من أطلق رصاصة المقاومة في خراطة.

يسعى هذا المقال إلى تسليط الضّوء على سيرة عمر شلوش من خلال الجمع بين الروايات الشّفوية والشّهادات العائلية والوثائق الإدارية الفرنسية، بغية تقديم قراءة تحليلية تجمع بين التّاريخ الاجتماعي والسّياسي للمقاومة المحليّة، وتبرز كيف شكّلت تجربة هذا الرّجل البسيط تجسيدا حيا لروح التّمرد الجماعي ضدّ الاستعمار ولل فعل الوطني الذي سبق اندلاع الثّورة التّحريرية بتسع سنوات.

1) عمر شلوش: من الفعل المقاوم إلى رمز التّضحية

ولد عمر شلوش بن أحمد سنة 1900 في دشرة بني ملا بوادي البارد¹ في قرية جبلية نائية ضمن سلسلة جبال البابور شمال سطيف، التي تتسم بالمناعة وكثافة الأحراش وتتميز ببيئة جعلتها وكأنها منطقة مستقلة، مما جعل أهلها يتسمون بشعور الحرّية والشّجاعة والإباء وقوّة العزيمة، نشأ في تلك القرية الجبلية المنيعة المنعزلة بين سفوح جبال الوعرة، في ذلك المكان الذي تعانق فيه الغابات الكثيفة السّماء، نشأ رجال يعرفون معنى الحرّية بالفطرة، يتوارثون المقاومة ومقارعة الاحتلال جيلا بعد جيل.

صبيحة الثّامن من ماي 1945، كانت مدينة سطيف مسرحا للمظاهرات الشّعبية التي دعا إليها الوطنيون الجزائريون احتفاء بانتهاء الحرب العالمية الثّانية، ورفعوا لمطلب الاستقلال الذي وعدت به فرنسا نظريا ثمّ أنكرت الوفاء به، خرجت الجماهير في مسيرة سلمية نظمها مناضلو حزب الشّعب الجزائري وأحباب البيان والحرّية حاملين الأعلام الوطنية وشعارات الحرّية، غير أن رصاصة غادرة أطلقتها الشّرطة الفرنسية على الشّاب بوزيد سعال فجرت الغضب الشّعبي، وتحوّلت المسيرة إلى صدام دموي بين المتظاهرين العزل والقوّة الاستعمارية المدججة بالسّلاح، سرعان ما امتدت أعمال القمع إلى القرى المجاورة².

انتشرت بين الذين تظاهروا في المسيرة بعدما افترقوا الشّائعات الأكثر جنونية، بعضهم قال إن الأتراك قد نزلوا في بجاية، وبعضهم قال أن أميركا توزع السّلاح على الجزائريين، والآخر قال أن العاصمة قد احتلت، وفي طريق عودتهم إلى قراهم انتشرت أخبار خارقة حول ما حدث في المسيرة، ولم يعرف النّاس التّائهون ما الأمر؟ بعضهم كان يعتقد أن جميع من كان في سطيف من الجزائريين قد قتلوا على يد الفرنسيين، وراحوا ينادون بأخذ الثّأر، وآخرون قالوا أن الجزائريين احتلوا مدينة سطيف وهم بصدد تحرير مناطق أخرى.

لم يتأخر صدى أحداث 8 ماي 1945 في الوصول إلى جبال البابور وسفوحها، فهبّ سكان وادي البارد عامّة ودشرة بني ملا خاصّة رافعين راية الرّفّض في وجه الاستعمار، كان عمر شلوش في مقدمة الصّفوف



يقود أهله وأبناء قريته بعزم لا يلين، وبعد امتداد الشرارة إلى عموشة وعين الكبيرة عقد الأهالي اجتماعهم وقرروا اقتحام مدينة خراطمة مركز كبار المعمرين واليهود والفرنسيين³.

وكان الأقدار شاءت أن تربط عمر شلوش بحوادث ماي 1945 لا بوصفه شاهدا عليها فحسب، بل كأحد رموزها الذين امتدت إليهم الجرائم الاستعمارية، من خلال التفاصيل التي سيلي ذكرها، كان عمر شلوش يرقب الأحداث بقلق التأثير الذي يدرك أن لحظة الحسم قد اقتربت، وأن ما جرى في سطيف لم يكن سوى إشارة البداية، لقد كانت الأقدار ترسم له طريقا نحو البطولة، إذ سيقوده وعيه الوطني إلى أن يكون أحد الذين جسدوا الانتقال من الاحتجاج السلمي إلى المقاومة في خراطمة وبني ملأ.

قاد عمر شلوش مجموعته ليلا نحو خراطمة مترقبين طلوع الفجر لبدء الهجوم، وما إن بزغ الضوء حتى دوى الرصاص الأول، وهي الطلقة الأولى التي أطلقها عمر شلوش ليسقط أحد المعمرين قتيلا، وهو الخباز 'Grammont Aimé'، إيذانا باندلاع المواجهة، توالى الهجمات على المراكز الاستعمارية، واشتعلت النيران في منشآتها تحت وابل من الرصاص الفرنسي.

ووفق شهادة عبد الرحمن شلوش أن مجموعة من الأهالي تقدمت نحو منزل القاضي الصّالح ميشيل ترابو 'Trabaud Michel' بعد أن تعرّضوا لإطلاق نار مباشر من داخل مسكنه، حيث شوهدت طلقات تتجه نحوهم، استمر تبادل النار إلى أن نفدت ذخيرتهم، فكسرت المجموعة باب المنزل واقتحمته. عند هذه اللحظة، دخل عمر شلوش - والد الشاهد - وأخرج القاضي حيا، مردّدا على مسامع الموجودين: "لا تقتلوه، إنه يتلفظ الشهادتين: لا إله إلا الله محمد رسول الله"، في محاولة واضحة لوقف أي اعتداء عليه بعد استسلامه. غير أن حالة الاضطراب والانفعال وسط الحشود جعلت السيطرة على الجميع أمرا صعبا، إذ اندفع أحد المسلّحين وأطلق النار على القاضي فأرداه قتيلا على الفور، خلافا لما رغب فيه شلوش⁴.

وقد بالغ 'Eugène Vallet' بشكل واضح في تصوير مشهد مقتل القاضي ميشيل ترابو وزوجته، مقدما تفاصيل دموية وصادمة تتجاوز كثيرا ما تورده الشهادات المحلية أو حتى التقارير الرسمية التي أعدتها الإدارة الاستعمارية نفسها بعد الأحداث. ففالي لا يكتفٍ بذكر مقتل القاضي، بل يضيف أوصافا حادة ومفرّعة مثل التمثيل بالجنّة، الطعنات العديدة، وبترا الأعضاء، ثم يذهب إلى تصوير الزوجة على أنها تعرّضت لمعاملة وحشية قبل قتلها⁵.

الحق أن المبالغة في تصوير العنف، تعد جزءا من الأدبيات الدّعائية الفرنسية التي حاولت تقديم المستوطنين كضحايا مطلقين في فترة المجازر التي ارتكبت ضدّ الجزائريين، والصاق أبشع الصور بالأهالي المنتفضين، ما يجعل مقارنتها بالشهادات المحلية أمرا ضروريا لإدراك طبيعة التداخل بين الوقائع الحقيقية والتمثيلات الاستعمارية للأحداث.

كان لعمر شلوش دور استثنائي وحاسم في إنقاذ المنتفضين في خراطمة عندما بدأت القوّات الفرنسية القادمة تطلق النار العشوائي على المواطنين، وكانت مجزرة رهيبة على وشك الوقوع. في تلك اللحظات الحرجة تمكن من اتخاذ موقع محصّن وهو يحمل رشاشه، فبدأ بإطلاق النار على الجنود الفرنسيين بطريقة أربكت تقدمهم وعطلت هجومهم المباغت، هذا التّدخل الشّجاع منح المنتفضين فرصة ثمينة للانسحاب والهروب



نحو الجبال قبل أن تقع الكارثة، ولولا مبادرته وشجاعته لكانت حصيلة الضحايا بالآلاف، لقد شكّل عمر شلوش بشجاعته وإصراره سدا منيعا حال دون وقوع مجزرة وأعطى للمتفضين فسحة من الوقت لإنقاذ أنفسهم ومواصلة نضالهم⁶.

انسحب عمر شلوش ورفاقه القادمين من قرى مجاورة إلى أعالي الجبال، ومعهم السكان الذين احتموا بالغابات ثلاثة أيام، معتقدين أن العاصفة انقضت، لكن مع بزوغ اليوم الرابع، عاد جيش الاستعمار بكل وحشيته، أمطروا القرية بقذائف المدافع، فاحترقت البيوت وتحولت الحقول إلى رماد، لم ينج شيء من غضبهم، لا الإنسان ولا الحيوان، وكأنهم أرادوا محو الحياة نفسها من دشرة بني ملا.

حين رأى عمر شلوش أمه تساق رهينة أمام الجنود الفرنسيين وقوات السنغاليين واللّيف الأجنبي خارت كلّ مقاومة في داخله، سلّم بندقيته لأخيه السعيد، وودّع رفاقه بكلمات الوداع الأخيرة، ثمّ نزل من الرّبوّة يسير نحو قدره ليحرر أمه، سلّم نفسه فاقترادوه مع رفيقه عمر بوغلوّس إلى بيت مهجور مغطى بنبات " الدّيس"، وأغلقوا الأبواب وأشعلوا النّار، احترق الجسدان لكن روح المقاومة بقيت شاهدة على زمن لم يعرف الرّحمة، بعد مغادرة الجنود الفرنسيين وجدت إحدى العجائز جثتين متفحمتين، وما زال رمادهما يروى إلى اليوم بين الأجيال كقصّة تضحية لا تنسى.

(2) عمر شلوش في الأرشيف الفرنسي:

يبرز اسم عمر شلوش في الأرشيف الفرنسي من خلال عدة تقارير ووثائق استعلامية كانت الإدارة الاستعمارية، ومن بين هذه الوثائق تقرير استعلامي من ست صفحات مرتبط بانتفاضة خراطة سنة 1945، يرد فيه اسمه بوضوح ضمن الشّخصيات التي استوقفت السّلطات أثناء ومع بعد الأحداث، وتكشف الوثيقة أيضا عن رواية الإدارة الاستعمارية بشأن تصفيته يوم 24 ماي 1945 بوادي البارد، وهو ما يعكس حجم الرّيبة التي كانت تحيط به والنّظرة التي كانت تعتبره عنصرا مؤثرا في سياق الأحداث التي شهدتها المنطقة.

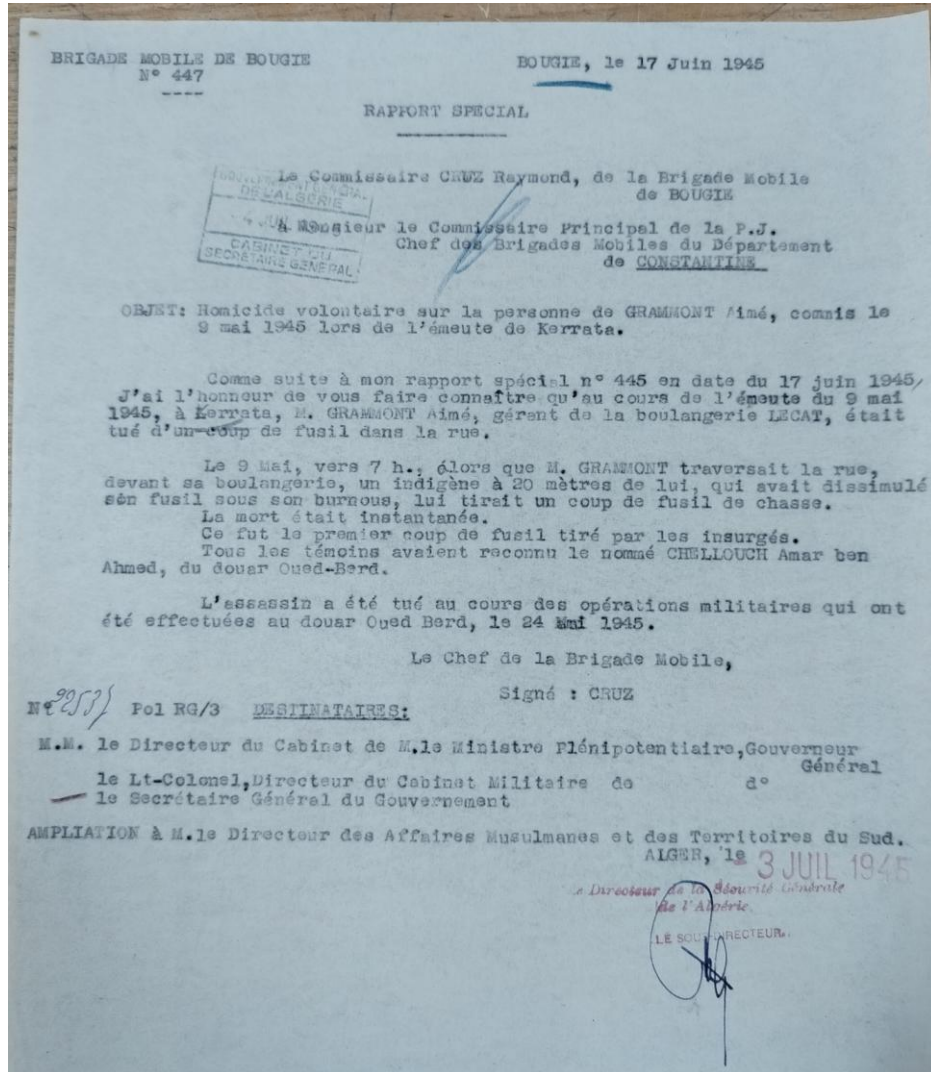
1.2 وثيقة استعلامية عن عمر شلوش:

تعود هذه الوثيقة الأرشيفية إلى 17 جوان 1945⁷ أي بعد أكثر من شهر على اندلاع مجازر 8 ماي 1945، وهي فترة كانت فيها الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر قد شرعت في حملة قمع واسعة ضدّ القرى والمداشر التي اتّهمت بالمشاركة في الأحداث، تأتي هذه الوثيقة ضمن سلسلة من التقارير الأمنية التي كانت ترفعها الفرق المتنقلة لبجاية إلى السّلطات العليا، لاسيما إلى الشّركة القضائية بقسنطينة وإلى الحاكم العام بالجزائر، يتضح من طابعها الإداري أن الهدف منها لم يكن فقط توثيق جريمة محددة، بل إضفاء شرعية قانونية على عمليات الانتقام التي شنت لاحقا ضدّ السكان.

ذكرت الوثيقة التي تتعلق بعمر شلوش في سياق جنائي وأمني، حيث اعتبرته السّلطات الفرنسية الفاعل المباشر في مقتل المدعو غرامونت إيمييه (Grammont Aimé)، وهو أحد الأوروبّيين المقيمين بخراطة ومسير لمخبرة تدعى ليكا (Lecat) يصف المفوض كروز ريمون الواقعة قائلا: "إن شلوش كان يوم 9 ماي 1945 حوالي الساعة السّابعة صباحا، على مسافة عشرين مترا من الضّحية، قد أخفى بندقيته تحت برنوسه، ولما رأى غرامونت يعبر الطّريق أطلق عليه طلقة واحدة من بندقية صيد، فأرداه قتيلا في الحال".



ويضيف التقرير أن هذه الطلقة كانت أول رصاصة أطلقت من طرف المنتفضين خلال أحداث خراطة، أي أنها في نظر الإدارة الفرنسية بداية التمرد المسلح الذي برر لاحقا الحملة العسكرية الانتقامية، بعد الحادثة تؤكد الوثيقة أن كل الشهود تعرفوا على الجاني " باسم شلوش عمر بن أحمد من دوار وادي البارد "، وأنه لم يعتقل أو يحاكم، بل قتل لاحقا أثناء العمليات العسكرية في منطقته يوم 24 ماي 1945، تختتم الوثيقة بذلك الجملة الجافة: "L'assassin a été tué au cours des opérations militaires"⁸ أي " لقد قتل القاتل أثناء العمليات العسكرية"¹.

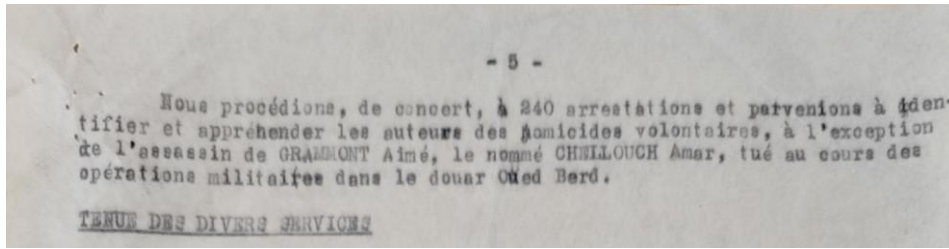


2.2 تقرير عن انتفاضة خراطة ذكر فيه عمر شلوش:

يحمل التقرير عنوانا واضحا ومباشرا هو: " أحداث خراطة 9 ماي 1945"، ما يحدد بدقة نطاقه الزمني والمكاني، إذ يركز على الوقائع التي شهدتها مدينة خراطة، إحدى محطات انتفاضة ماي 1945، وتكشف الصياغة الافتتاحية عن الطابع البوليسي الأمني للوثيقة، فهي لا تقدم بوصفها تحليلا سياسيا أو عسكريا شاملا، بل باعتبارها تقريراً سرياً خاصا يهدف إلى جمع المعلومات الميدانية لتحديد المسؤولين عن الانتفاضة، وتقييم مستوى الخطر الأمني.

تكشف إحدى المراسلات الأمنية التي أعدتها السلطات الاستعمارية بعد أحداث خراططة أن القوات الفرنسية كانت تتبع بدقة كل ما جرى خلال الانتفاضة، حيث جاء في مضمونها أن أحد المستوطنين قتل بطلق ناري في الشارع الرئيسي للبلدة صباح 9 ماي 1945.

وتُشير المراسلة إلى تنفيذ ما يقارب مائتين وأربعين (240) عملية اعتقال تمت بالتنسيق بين مختلف الوحدات العسكرية، وأن أغلب الأشخاص الذين وجهت إليهم تهم القتل خلال الأحداث تم تحديدهم واعتقالهم. غير أن الوثيقة ذكرت استثناء وحيدا، وهو الشخص الذي نسبت إليه عملية إطلاق النار الأولى، عمر شلوش، موضحة أنه لم يعتقل لأنه لقي حتفه أثناء العمليات العسكرية التي شنتها القوات الفرنسية على قرى وادي البارد.



وتكشف الصياغة الجافة لهذه المراسلة رغبة الإدارة الاستعمارية في تقديم رواية تحمل الأهالي مسؤولية ما حدث، في حين تؤكد الشهادات المحلية أن موت عمر شلوش كان نتيجة عملية انتقام واسعة استهدفت سكان المنطقة بعد مشاركتهم في انتفاضة خراططة⁹.

(3) شهادات الناجين

تمثل الشهادات الشفوية إحدى أهم المصادر التي تحفظ تفاصيل أحداث ماي 1945، فهي تنقل صوت الذين عاشوا المأساة ونجوا منها، وتعيد رسم ملامح تلك المرحلة بكل ما حملته من مقاومة ومعاناة. وفي هذا السياق، تكتسب شهادات أبناء وادي البارد قيمة خاصة، لما تتضمنه من معطيات دقيقة حول مسار الانتفاضة في خراططة والمناطق المجاورة، ودور المناضلين الذين تصدروا المواجهة.

ومن بين تلك الشهادات تبرز شهادة صالح شلوش، وشهادة عبد الرحمن شلوش، إلى جانب شهادة أحمد جاتي، فضلا عن شهادات أخرى تناولت سيرة المناضل عمر شلوش، ودوره المحوري في انتفاضة خراططة واستشهاده، وتمثل هذه الروايات مادة أساسية لفهم ما جرى، إذ تنير جوانب ظلت غائبة وتبرز تضحيات رجال وقفوا في وجه آلة القمع الاستعمارية.

- شهادة صالح شلوش¹⁰:

عندما وصل خبر مقتل المتظاهرين في سطيف عمت انتفاضة عارمة ضد مصالح الاستعمار والكلون، عندها قرر سكان قرى وادي البارد خوض الجهاد ومقاومة فرنسا، من غير إدراك كامل لعواقب الأمور، فتوجه بعضهم نحو خراططة، بينما قصد آخرون عموشة، في حين راجت إشاعة مفادها أن الأمريكيين قد جاؤوا بالسلاح لدعمهم.



وفي صباح يوم الأربعاء 9 ماي 1945، كانت خراططة على موعد مع حدث تاريخي، إذ اجتاحتها سكان القرى والمدشر، بينما تحصن الكولون واليهود والدرك الفرنسي في منازلهم ومواقعهم، وقد انطلقت أول رصاصة من عمر شلوش إيذانا ببداية المواجهة.

وبعد الاشتباكات التي حدثت، ومع تقدم الجيش الفرنسي، عاد الأهالي إلى القرية، وكان أبي شلوش عاشور من بينهم، وما إن دخل البيت حتى قال: "سيأتي الجيش الفرنسي إلينا"، وبالفعل أصبحت قرية بني ملا تحت وطأة قصف شديد بالقذائف، فسقطت إحداها على عتبة البيت، وأخرى على مسجد القرية لكنها لم تنفجر. وبعدها تقدم الجنود نحو القرية، فكانوا يقتلون كل من يعثرون عليه في طريقهم، ولم تسلم حتى الحيوانات من الإبادة، إذ قضوا على الأبقار والغنم والماعز والخيول، ولم ننتظرو وصولهم، فمن الناس من فر إلى الغابات، ومنهم من تحصن في الجبل، ولما وصل الجنود، لم يجدوا سوى رجل أعشى فقتلوه، وكان اسمه محمد إيغن. وبينما كنا متحصنين في الجبل، كان القايد ينادي بأعلى صوته: "عمر شلوش... عمر شلوش... سلم نفسك!".

كان أبي وعمي عبد الرحمن شلوش، وكذلك البشير شلوش، ضمن ذلك الحشد الكبير الذي جمع من عموشة وقرى تيزي نبشار ووادي البارد، ظللنا طوال النهار رافعين أيدينا، حتى اعتقل الجنود الجماعة التي جاءت معهم، فجز بأبي في سجن سطيف، بينما أرسل عبد الرحمن والبشير إلى سجن قسنطينة، ورغم التحقيقات المتواصلة ومحاولات الضغط، أصرروا جميعا على نفي أي مشاركة لهم في أحداث خراططة أو عموشة. فقد أكد أبي أنه كان مريضا وطريح الفراش، وتذرع عبد الرحمن بأنه كان يومي 8 و9 ماي يرعى الغنم في الجبل، أما البشير فاحتج بأنه كان يشتغل في جمع الفحم من الغابة، لكن كل تلك التبريرات لم تجد نفعا، فكان السجن مصيرهم جميعا¹¹.

ومن بين المعتقلين من سكان وادي البارد الذين قتلوا في سطيف نذكر: محمد بن عزوز، ولخضر بن عزوز، ولخضر عيساوي، وكان هؤلاء قد انتزعوا مفاتيح السد المائي بالقوة في محاولة لتخريبه وقطع المياه عن مصنع توليد الكهرباء، فتم إعدامهم جماعيا من دون أي محاكمة تذكر، كما اعتقل آخرون، أذكر منهم: السعيد حمزاوي، وعبد الله بوغولوس، والسعيد بولواطة، وقد أقدم الجنود على إحراق جميع البيوت وما فيها من أغطية وفرش وأوان، فبقينا جميعا مشردين في العراء.

ولم ينس الجيش الفرنسي وأعوانه اسم عمر شلوش، إذ كان على رأس قائمة المطلوبين للقتل، ومع تمسكه ورفضه تسليم نفسه، اقتحم جنود اللّيف الأجنبي القرية وأخذوا والدته رهينة، وكان عمر يراقب المشهد من أعلى ربوة غير بعيدة، فلما رأى أمه في قبضة الجنود، لم يستطع تحمل المنظر، فنزل من مخبئه، وسلم البندقية التي كانت بحوزته لأخيه السعيد، ودفع ما كان معه من مال لزوجة عمه، ثم تبع أثر الجنود ليقدّم نفسه، وبعد ذلك سيق مع عمر بوغولوس، وقتل الاثنان في بني مسالي، حيث أضرمّت النيران في البيت الذي وضع فيه.

وأراد القايد أن يكون مصير أبي عاشور كمصير عمر شلوش الذي قتل، فرفع تقريراً مفصلاً يزعم فيه مشاركة أبي في أحداث خراططة، واتهمه بنهب أثاث من منازل الأوروبيين والمصالح الإدارية، وكان القايد قد



استجوب بعض المشاركين وهدهم بالقتل إن لم يعترفوا بما يريد، فاستند إلى اعترافات انتزعت تحت التهديد ليثبت تهمة باطلة، وعندما حقق الجيش الفرنسي مع أبي في سجن سطيف واستجوبوه بشأن تلك الادعاءات، جاء جوابه واضحا وقاطعا: "منزلي أنتم من أحرقتموه... فهل وجدتم فيه ما يزعم القايد؟" فأسقط بذلك حجة القايد وأكد براءته مما نُسب إليه زورا¹².

2.3 شهادة ابنه المجاهد عبد الرحمن شلوش:

في صباح يوم 8 ماي توجهت مجموعة من شباب القرية إلى مصالح التجنيد الفرنسي في عين الكبيرة لإجراء الفحص الطبي تمهيدا لتجنيدهم، وكان من بينهم أخي الحسين، لم يكن أحد يتوقع ما سيحصل، لكن عند وصولهم إلى عموشة وجدوا رئيس بلدية تقيطونت المختلطة ونائبه ميتين، عاد الشباب إلى وادي البارد ونشروا الخبر سريعا، فعمّ الحماس ودبّ في النفوس دعوة للجهاد في مساء نفس اليوم، انقسم سكان وادي البارد إلى فريقين: قرر بعضهم أن يتوجه غدا إلى خراطة وهذا المسار الذي اختارناه. بينما اختارت جماعة عبد القادر لوصيف الذهاب إلى عموشة.

ورغم حلول الليل، لم تتركنا الرغبة الجامحة في الانتقام من الفرنسيين ننتظر الصباح، انطلقنا سيرا إلى خراطة ووصلناها ليلا، لكننا لم ندخل المدينة وانتظرنا بزوغ الفجر، وما إن طلع صباح 9 ماي حتى كانت خراطة محاصرة من قبل سكان القرى المجاورة الذين قدموا من جرمونة وبني مرعي وذراع القايد، جميعهم بهدف واحد: تصفية الفرنسيين ومن تسبب في بؤس الجزائريين، كان المنتفضون مسلّحين بالسلاح الأبيض وبنادق الصيد¹³.

وأشهد للتاريخ وشهادة أتحمل مسؤوليتها أمام الله أن أبي، شلوش عمر، كان أوّل من اقتحم المدينة، وبشجاعة فائقة أمام أنظار الناس، كان يحمل بندقية، ولاحظ أحد المعمرين وهو داخل المخبزة، وما إن خرج الأخير حتى أطلق والدي النار عليه فأسقطه، فكان أوّل أوروبّي سقط في خراطة برصاص والدي. عندما تردد صوت الطلقات سمع رجال الدرك الفرنسيون الرصاص فبادلوهم النار، أما أوّل من سقط شهيدا من منتفضي وادي البارد بخراطة هو السعيد لقديم من دوار بني مسالي، أصابته رصاصة قاتلة بين العينين وهو أمام دكان معماش قرب شجرة الدردارة.

اشتدّت الأحداث وزاد هيجانها، اشتعلت مدينة خراطة بالنيران، فاحترقت مرافق الإدارة الفرنسية ومراكز ومستودعات المستوطنين، وغطى الدخان أرجاء المدينة، أراد البعض حمل أثاث المستوطنين، لكن والدي نهانا عن ذلك قائلا: "لا تحملوا أشياءهم، نحن جئنا لنقاتل من أجل حقنا المسلوب".

كانت الغلبة لنا في خراطة لأننا الأكثر عددا، فالمستوطنون لم يستطع بعضهم الدفاع عن أنفسهم، ورجال الدرك الفرنسي كان عددهم قليلا جدّا مقارنة بأعدادنا الكبيرة، والجيش الفرنسي لم يأت بعد، وهذا ما أعطى البداية لصالحنا، كان رجال الدرك يطلقون الرصاص باتجاهنا، لكنهم سرعان ما توقفوا لأن الجميع كان يرد عليهم من كلّ جهة.



رأينا رصاصا يقذف باتجاهنا من بيت القاضي؛ فتقدمنا إلى المنزل فوجدنا القاضي وزوجته يحملان البنادق، ولما نفذ سلاحهما كسرنا الباب، فدخل أبي وأخرج القاضي من المنزل، قال أبي: "لا تقتلوه، إنه يتلفظ الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله"، لكن أحد المندفعين من بيننا أطلق عليه الرصاص فأرداه قتيلا. استمرّ التّخريب في أنحاء المدينة حتّى رأينا الجيش قادمًا، تفرقت جموع المواطنين في اتجاهات مختلفة، سمعنا أحدهم يقول: «لا تهربوا، إن الأمريكيين جاءوا لينصرونا، لقد جاءوا بالسّلاح لنا»، فلم نصدّق ذلك لأن المدافع كانت تقصفنا دون توقف. مع ذلك بعضنا لم يفشل خاصّة والدي وآخرون فقد تمكنوا من إصابة جنديين فرنسيين، لكن الغلبة كانت للعتاد الحربي لديهم، غادرنا القرية عائدين إلى وادي البارد، والخوف ينتاب كثيرا منا حتّى لم يستطع علي حمزاوي حمل البندقية فطرحها أرضا وأكمل المسير، كنت خلفه فأمسكتها وأعدتها إليه عندما وصلنا، كنا على يقين أن رد الفعل سيكون قاسيا جدا وأن القمع في الأيام القادمة سيكون أبشع مما نتخيل¹⁴.

وفي مساء 10 ماي جاء أحد أبناء القرية يصرح قائلا: «العسكر قادم اهربوا، اهربوا قبل فوات الأوان»، خرجنا من بيوتنا وتجمعنا في موضع واحد لنتدارس الوضع، فإذا هم يصعدون نحو قريتنا، وفي طريقهم يحرقون كلّ شيء: بيوتا وحيوانات ومفروشات وأثاثا منزليا، كان يتقدمهم القايد بوسفوت صالح، لما كادوا يصلون إلى القرية لجأنا إلى أعلى الجبل، فكونها منطقة جبلية وغابية كان الصّعود ملاذنا، في البداية لم يفر أبي معنا، اختبأ مترصدا للقايد في محاولة لقتله لكنه لم ينجح، إذ وصلت قوّات العسكر بسرعة ولحقت بنا في الجبل. أكملنا السّير حتّى بلغنا قرية بني فلكاي، وبقينا هناك ثلاثة أيّام هربا من بطشهم، ولم نعد إلى وادي البارد إلّا بعدما اطمأن الجميع إلى هدوء كامل وغياب المراقبة، وظننا آنذاك أن القتل قد توقف وأن الأوضاع هدأت.

انتشرت بين النّاس إشاعة مفادها أن الإدارة العسكرية قد عفت عنا وأن الصّالح سيبرم بين الطّرفين، لكنها كانت حيلة مدبرة من العسكر وبتّها أذناهم من القياد وكبار الجماعة لتمكينهم من القبض علينا دون عناء أو قتال يزهق أرواحا كما حصل في خرّاطة، حضر القايد إلى قريتنا مبلغا أن مكان الصّالح سيكون في تيزي نبشار.

عرض أبي أن أذهب كممثل عن العائلة، فتساءلت أمي بمرارة: «لماذا ترسلونه إلى الموت؟» لا أتذكر تماما رده، لكنه لم يكن يتوقع ما سيحصل لاحقا، سارت مع أبناء القرية تحت قيادة بولواطة سليمان، الذي أرغم على حمل العلم الفرنسي بأمر من القايد، فتجهنا إلى تيزي نبشار حيث التقينا بجميع وفود قرى وادي البارد وعموشة.

وجّهنا إلى ساحة كبيرة حيث بدأ القايد ينادي الأسماء واحدا تلو الآخر، نادى قائلا: "أين ابن عمر شلوش" وكان يقصدني فأجبت: "أنا هنا"، قال: "تقدم"، وكنت أوّل من نودي عليه، اقتربت منه فصفعني على وجهي، ثمّ اقتادوني إلى الزّزانة، كان ثاني من نودي عليه عبد القادر لوصيف، الذي أدخل معي إلى الزّزانة، وفي المساء جاؤوا بأخرين ممن لم يذهبوا طوعا في الصّباح، أذكر منهم اثنين من أعمامي وعددا من أفراد عائلة بولواطة، وثمانية من أولاد صالح. جمعونا جميعا في قبو يملكه المستوطن بوسكي.



قضينا الليل تحت الأرض دون أن نغمض جفنا، كان معنا محمد حيدري، وقد ظلّ يصرخ طوال الليل بأعلى صوته. وفي الصباح الباكر، أخرجونا من الحفرة، وبقينا طوال النهار تحت أشعة الشمس الحارقة، من شدة حالتنا المأساوية رق لنا أحد الجنود الفرنسيين، فجاءنا بالماء، لم يكن بوسعنا الهرب، فالحراسة كانت مشددة، والمكان مطوّق من كلّ الجهات¹⁵.

وفي المساء حلت بتيزي نبشارشاحات عسكرية ممتلئة بالمعتقلين، فأحشونا فيها وتوجهنا إلى سطيف، عند وصولنا أدخلونا في إسطبلات الحيوانات وبقينا فيها عدة أيام، في أحد الأيام أخرجوا عددا كبيرا من الأسرى وكنت منهم وسخرونا لبناء محتشد في ذراع بن خرباش، ثم أعادونا إلى الإسطبل، أخبرت زملائي المعتقلين بالأمر فاستحسنوا الفكرة، فالمحتشد في العراء بدا أرحم من البقاء داخل الإسطبل، ونقل المعتقلون بالفعل إلى المحتشد، لكنه لم يكن لطفا منا، وإنما لأن الإسطبلات لم تعد تكفي لاستيعاب الأعداد الهائلة القادمة إلى سطيف من كلّ ناحية حيث دارت الأحداث.

وأذكر أنه في أحد الأيام عند الفجراتوا ينادون على جماعة من المعتقلين الذين كانوا الأكثر تضلعا في الأحداث، أخذوهم وكان مصيرهم الإعدام كلّ صغيرة وكبيرة مدونة عندهم، فكلّ من يصدر ضده حكم إلا بخيانة ووشاية من القايد أو المتعاونين، استطاع أحد المسجونين الأشداء في المعتقل أن يفروينجو من حكم الإعدام الصّادر ضده وهو مسعود زيتوني حيث كان في المحتشد يتمتع بحرية نوعا ما كونه مسؤول عن مجموعة من المساجين، فاستغل ثقتهم فيه حيث هرب من دون عودة وظلّ يعيش في الجبال بعيدا عن أعين الكولون لسنوات من الزمن.

كان التعذيب في المحتشد السّمة الأبرز، حتّى إن الأطباء أنفسهم اشتكوا من هذا السلوك غير الإنساني، كنت معتقلا هناك مع عبد القادر بن علاق، الذي تعرّض لأبشع أنواع التعذيب حتّى احمر وجهه بالدماء. وفي أحد الأيام، جاء الدّرك من عين عباسية، فاقنيد عبد القادر ليقتل هناك، إذ تمت تصفية حساب قديم معه لدوره قبل سنة 1945، وحين جاء دوري، أخذوني للتحقيق والاستجواب، سألتني الكاتب الذي يحمل ملفي: هل تعرف عمر شلوش؟ وكان ذلك بسبب تشابه اللّقب فأجبت: إنه أبي، عندها وضع القلم وضربني بلكمة قوية، فقد كانوا يعرفونه جيّدا عن طريق الكولون والقياد، ويعلمون ما فعله في مدينة خراطة. بدأ يسألني: أين أبوك؟ ماذا فعلت؟ أين كنت يومي 8 و9 ماي؟ هل أنت متزوج؟

كنت أجيبهم، لكن إجاباتي لم تكن ترضيهم، فأنهالوا علي جلدًا بالسّياط وضربا مبرحا حتّى أغمي علي، نقلت بعد ذلك إلى المستشفى العسكري، ولا أعلم كم من الوقت قضيت هناك، وحين أفقت لم أعرف أين أنا ولا سبب وجودي هناك، بعد مدة جاء الطّبيب ليتفقد الجروح في وجهي، التي لا تزال آثارها ظاهرة إلى اليوم، ثمّ دخلت الممرضة تحمل الطّعام، لكنني لم أستطع تذوقه من شدة الألم، حاولت أن تطعمني بيدها، لكنني شعرت بمرارة شديدة من أثر التعذيب، بعد أيام عاد الطّبيب وسألني إن كنت بخير، فأجبت بالإيجاب، فأمر بإعادتي إلى المحتشد، عندما عدت لم يتعرف علي الكثير من رفاقي، بسبب ما غيره التعذيب من ملامحي¹⁶.

تم توزيع المعتقلين في مختلف السّجون، بقيت أنا في المعتقل، آخر من تبقى من أبناء وادي البارد، بعد أن نقل بعض رفاقي إلى السّجون، وأفرج عن البعض الآخر، فيما نال عدد منهم حتفهم بالإعدام، نقل عبد القادر



لوصيف وشلوش البشير إلى المحكمة العسكرية بقسنطينة، أما أنا فكنت استدعى كلّ أسبوع للمساءلة، وبحماس الشباب لم أعرف الخوف من الموت، غير أنني في كلّ استجواب كنت أتشبث بكلامي نفسه، لا أبدل منه حرفاً ولا أتنازل عن كلمة.

وبقيت في المحتشد لا أعرف أحداً، حتّى أعيد إلينا للمرة الثانية بولج حمي، كنت أرفع من معنوياته كلّما غلبه اليأس، إذ كان يردد دائماً أننا سنقتل لا محالة، عشنا مع فترة طويلة، نتقاسم الخوف والصبر، إلى أن صدر أمر بالإفراج عنا، لا لسبب سوى أنهم نالوا ما أرادوا، فقد أشفي غليلهم بمقتل والدي، عدت إلى أهلي لأجد كلّ شيء قد احترق، لم يبق لنا من الدنيا شيء، ومع مرور الوقت، وبالإصرار والأمل، أعدنا بناء البيت الذي التهمته النيران¹⁷.

وإذا عدت إلى قصة والدي، الذي تركته في البيت قبل اعتقالي يوم خرجنا إلى تيزي نبشار، فقد رويت لي حكايته المؤلمة بعد الإفراج عني. أخبروني أنهم أخذوه مع جماعة من الرجال إلى منطقة مالبو، ثم عاد بعدها إلى البيت، لكن القايد ظلّ يبحث عنه بالبحاح. وذات يوم جاء القايد إلى منزلنا وسأل جدتي عن ابنها، فأجابته بأنها لا تعلم عنه شيئاً، وربما فرّ إلى الجبل، بينما كان في الحقيقة خلف ربوة. عندها هدّد القايد بتعذيب أمه العجوز حتّى يسلم نفسه.

ولم يحتمل والدي الموقف، وخرج من مخبئه، مسلماً نفسه لينقذها من العذاب، بعد أن ترك بندقيته أمانة عند أخيه السعيد، اقتادوه مع بوغلوس عمر إلى قرية بني مسالي، وهناك ارتكبت في حقهما جريمة بشعة، إذ أدخلوا إلى بيت سقفه من الدّيس، وأضرمت النّار فيه، احترق البيت ومن فيه، رغم محاولة امرأة عجوز إنقاذهما، لكن حين اقتحمت المكان وجدت جسدَيْهما متفحمين، فدفننا معاً في تلك الأرض التي شهدت الفاجعة.

ولم ينج كثير من سكان القرية من الإبادة، فقد كانت القرية التي قصفت بالطائرات، لأنّ أهلها رفضوا الاستسلام، ولحسن حظنا أننا كنا حينها نختبئ في الجبال التي لم يتمكنوا من بلوغها، وأتذكر أنه من منطقة وادي البارد قتل كلّ من: بولج السعيد، وبوهزيلة محمّد الذي قتله القايد، وشلوش عمر، وإيغدن محمّد، ولقديم عبد الله الذي قتل في المحتشد بسطيف، وعيسى داود، وقاسي بن داود، وبحري عبد الله، وحططاش محمّد، كما قتل قاسي برباش بعد مواجهة مع الجنود الفرنسيين حين كان قادماً من أولاد صالح إلى عموشة¹⁸.

3.3 شهادة أحمد جاتي:

في ضوء ما أورده في شهادته عن أحداث خراطة، يبرز اسم عمر شلوش من دوار وادي البارد كواحد من الوجوه القيادية التي شاركت في انتفاضة 9 ماي 1945، إلى جانب عمر بوغلوس وعدد من المناضلين من الدّواوير المجاورة، كان عمر شلوش من بين أولئك الذين تجسدت فيهم روح المقاومة الشعبية، إذ شارك في تنظيم الأهالي وتعبئتهم في مواجهة آلة القمع الاستعماري التي كانت قد شرعت في تنفيذ عملياتها الانتقامية مباشرة بعد اندلاع الاحتجاجات¹⁹.



وبينما كان المنتفضون يواجهون القوّات الفرنسية في خُرّاطة، كانت سلطات الإدارة الاستعمارية عبر القيادة بوسفوت ودريقي وتحت إشراف مباشر من الجيش الفرنسي، تمارس سياسة الأرض المحروقة في دواوير جرمونة ووادي البارد، إذ كانوا يحرقون البيوت بعد نهبها، ويقتلون السّكان بدم بارد، ويجمعون الماشية لإرسالها إلى مذابح خُرّاطة لإطعام الأوروبّيين، في هذا السّياق القاسي والمشحون بالقمع الوحشي، وقع اعتقال عمر شلوش ضمن حملة الاعتقالات الواسعة الّتي استهدفت كلّ من شارك أو اشتبه في مشاركته في الانتفاضة، وقد تعرّض بعد اعتقاله للتّعذيب والقتل حرقا، في واحدة من أبشع الممارسات الاستعمارية الّتي هدفت إلى بث الرّعب وكسر إرادة المقاومة لدى الأهالي.

خاتمة:

إن استقراء سيرة المناضل عمر شلوش من خلال الجمع بين الوثائق الاستعمارية والشّهادات الشّفوية المحليّة، يتيح لنا إعادة تركيب صورة دقيقة عن أحد أبرز الفاعلين في انتفاضة خُرّاطة ضمن أحداث الثّامن من ماي 1945. وتبرز هذه القراءة أن تجربة هذا الرّجل ليست مجرد سيرة ذاتية بل هي تعبير عن المقاومة الشّعبية العفوية الّتي فجرها القمع الاستعماري، وعن التّحول الحاسم من الاحتجاج السّلمي إلى العمل المسلّح في المناطق الرّيفية المعزولة.

كشفت الوثائق الفرنسية وعلى رأسها التّقارير الأمنية والمراسلات العسكرية عن المكانة الّتي احتلها عمر شلوش في نظر الإدارة الاستعمارية باعتباره أحد "العناصر الأخطر على النّظام القائم"، ووصفت أوّل رصاصة أطلقها في خُرّاطة باعتبارها شرارة "العصيان المسلّح" الذي برر لاحقا سياسة الأرض المحروقة ضدّ الأهالي. الواقع أن هذه الرّواية الاستعمارية لا تكتمل إلّا بعد مقارنتها مع الشّهادات الشّفوية الّتي أدلى بها النّاجون وأفراد عائلته، والّتي تنقل صورة مغايرة تماما، حيث يظهر عمر شلوش مقاوما وطنيا بسيطا، اندفع بدافع الوطنية لا بدافع الجريمة أو الفوضى كما حاولت السّلطات الاستعمارية تصويره.

وتؤكد الشّهادات خصوصا شهادة ابنه المجاهد عبد الرّحمن شلوش، أن دوره في اقتحام خُرّاطة وتنظيم المنتفضين، ثمّ تغطيته لانسحابهم تحت قصف الجيش الفرنسي، جعل منه أحد المحاور الأساسيّة لانتفاضة وادي البارد وخُرّاطة، كما أن تفاصيل استشهاده المأساوي حين سلّم نفسه لإنقاذ والدته من التّعذيب ليقتل حرقا داخل كوخ من الدّيس جعلت منه رمزا تتوارثه الدّائرة الجماعية للمنطقة.

الهوامش:



¹ مسجل في الحالة المدنية أنه من مواليد سنة 1900 حكم 1920، أي تم تسجيل ميلاده وعمره 20، مثل الكثير من الجزائريين في المناطق الريفية الذين لا يسجلون إلا بعد سنوات من الميلاد خلال الحقبة الاستعمارية.

² Rapport, **Le commissaire central Tort**, chef de la police d'état de Sétif.

³ شرعت السلطات الاستعمارية في جلب عائلات فلاحية أوروبية من جنوب فرنسا وكورسيكا وإيطاليا ومالطا، ضمن سياسة تهدف إلى تثبيت الوجود المدني إلى جانب العسكري، ومع نهاية القرن التاسع عشر، بدأت التركيبة السكانية تتغير تدريجيا، إذ ظهرت أحياء جديدة وقطاعات زراعية مُنحت للعائلات الوافدة، فأصبحت خراطة تضم عشرات الأسر التي أسهمت في تشكيل نواة اجتماعية واقتصادية للمستعمرة. وفي بدايات القرن العشرين، تضاعف عدد هذه العائلات، فانتشرت الملكيات الصغيرة والمزارع العائلية، وازدادت البنى التحتية التي شجعت بدورها على استقرار مزيد من المستوطنين، ما جعل خراطة واحدة من أهم القرى الاستيطانية في منطقة القبائل الشرقية، للتفصيل أنظر:

Maurice Villard – Yves Bassard : **Les villages des hauts plateaux sétien** Les villages sont présentés dans les circonscriptions des communes mixtes : L'Ouest, Le Nord, L'Est, Le Sud. Tome 2.

⁴ شهادة سجلتها مع عبد الرحمن شلوش يوم 17 جوان 2007 في عموشة بسطيف.

⁵ Eugène Vallet, **Un drame algérien. La vérité sur les émeutes de mai 1945**, Paris, Les Grandes Éditions Françaises, 1948, p.90.

⁶ عبد الحق سماحي: **خراطة من الاحتلال إلى الاستقلال**، تحدي، صمود، شموخ، دار آدم ومرام للنشر، الجزائر، 2025، ص.137.

⁷ **Rapport officiel de la Brigade Mobile de Bougie**, n° 447, daté du 17 juin 1945, établi à Bougie, (rapport spécial de police).

⁸ **Rapport officiel de la Brigade Mobile de Bougie**, n° 447, daté du 17 juin 1945, établi à Bougie, (rapport spécial de police).

⁹ **Rapport sur les événements de Kerrata (9 mai 1945)**, 17 juin 1945, signé Cruz Raymond, Archives Direction générale de la Sûreté – Alger.

¹⁰ شهادة أجريتها مع صالح شلوش في 17 ماي 2013، بمنزله ببلدية أولاد عدوان.

¹¹ نفسها.

¹² شهادة أجريتها مع صالح شلوش في 17 ماي 2013، بمنزله ببلدية أولاد عدوان.

¹³ شهادة سجلتها مع عبد الرحمن شلوش يوم 17 جوان 2007 في عموشة بسطيف.

¹⁴ شهادة سجلت مع عبد الرحمن شلوش يوم 17 جوان 2007 في عموشة بسطيف.

¹⁵ شهادة سجلت مع عبد الرحمن شلوش يوم 17 جوان 2007 في عموشة بسطيف.

¹⁶ شهادة سجلت مع عبد الرحمن شلوش يوم 17 جوان 2007 في عموشة بسطيف.

¹⁷ نفسها.

¹⁸ شهادة سجلت مع عبد الرحمن شلوش يوم 17 جوان 2007 في عموشة بسطيف.

¹⁹ Ahmed djati ; **La révolte du mardi 8 mai 1945**, p.1- 5.

